# توظيف المصطلح اللغوي في النص الجزائري المعاصر

الدكتور مختار بوعناني
- جامعة وهران

**أيها السادة الأفاضل :**

تدخلي هذا الموسم بـ «توظيف المصطلح اللغوي في النص الجزائري المعاصر» لا يأتي بالجديد ، وإنما هو إشارات لما وجد في الموضوع عند علمائنا الأفاضل .

لقد حصرت الموضوع في إنتاج عالم جزائري واحد ألا وهو الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (ت 1965) وبخاصة في عملين :

الأول : البصائر

الثاني : رواية الثلاثة

على الرغم من أن تدخلي محصور إلا أنني لم أتطرق الى كل ما له من صلة بالموضوع . فالموضوع يحتاج الى عالم لغوي وأديب في مستوى الشيخ البشير الإبراهيمي ليصل الى ما أراده الشيخ بتوظيف المصطلحات اللغوية في كتاباته المختلفة ، ولا أزعم أنني في المستوى ليدق فقط باب العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي ، ولهذا فما تسمعونه مني ما هو إلا إشارات ، ووضع النقط على الحروف حتى لا تختلط .

فالمصطلح اللغوي في هذا التدخل حصرته في :

**1 - المصطلح الصرفي :**

ونجد ضمنه المصطلحات الآتية :

النقل ، والتحريك ، والتسكين ، والفتح ، والتشديد ، والتمكين ، والضم ، والصحة ، والإعلال ، والحذف ، والتعويض ، والإبدال ، والقلب ، والترخيم ، والإدغام ، والفك ، والتخفيف ، والإشمام ، والأصل ، والزيادة . .

2 - **المصطلح النحوي :**

وينحصر في الآتي :

إسم الجنس ، واسم الفعل ، والعطف ، والجامد ، والمتصرف ، والنكرة ، والمعرفة ، والنعت ، والضمير المستتر ، والخفض ، والضم .

3 - **التركيب :**

وتتمثل في الآتي :

- التركيب الإضافي
- التركيب الوصفي
- التركيب المزجي
- التركيب الإسنادي عموماً

4 - **الأدوات :**

وتنحصر في الآتي :

أدوات التصدير

5 - **الحروف :**

وتكون من الآتي :

- حرف الخاء
- حرف الشين

لقد عثرنا على المصطلحات الصرفية مختصرة في مكان واحد ضمن خمسة أبيات ، وهي على النحو الاتي[1] :

وعندهم مصطلحات الصرف ظاهرة في فعلهم والظرف
النقل والتحريك والتسكين والفتح والتشديد والتمكين
والضم والصحة والاعلال والحذف والتعويض والإبدال
والقلب والترخيم والإدغام والفك والتخفيف والإشمام

وفيهم الأصـــول والـــزوائـــد وعنـــدهم في شمهـــا عـــوائـــد

نتساءل لماذا جاء الشيخ البشير الإبراهيمي بهذه المصطلحات الصرفية وعددها واحد وعشرون مصطلحاً في مكان واحد معطوفة على بعضها ، خالية من أي فعل من الأفعال الثلاثة ، ولم نجد بينهـا إلا واو العطف ؟ والجـواب أن الشيـخ البشير الإبراهيمي بين غرضـه من ذكر هـذه المصطلحات في البيت الأول عندما قال :

وعنـــدهم مصطلحـــات الصرف ظـــاهرة في فعلهم والظرف

فالضمير في (عندهم) يعود على الشامين مفرده (شام) ويقصد به مستعمل وفاعل ومتناول («الشمة» ، فالشامون أو «شامية» على لغة العامة ، لهم تقاليد ، وطقوس خاصة في استعمال الشمة وما يصاحبها منن حركات متيزة لا يتقنها إلا الشام نفسه ، ولا يمكن لغيره أن يقوم بهذا الدور قط .

هذه الحركات والإشارات الخاصة من طرف الشامين قد وضع لها الشيخ البشير الإبراهيمي ما يلائمها من مصطلحات مختلفة .

لقد وجد الشيخ ضالته ليعبر بكل دقة عما يقوم به الشام في علم «التصريف» وبالذات في مصطلحات هذا العلم .

**☆ المصطلح الأول : النقل[1]**

لقد اختار الشيخ البشير مصطلح «النقل» الدال في الاصلاح الصرفي على نقل حركة مكان حركة أخرى في مثل : يرمون ، فقد نقلت حركة الياء وهو الضم الى الميم قبلها ، لأن الأصل «يرميون» ، ليستعمله دالا على نقل الشمة من العلبة إلى الأنف أو الى الفم .

لقد وظف الشيخ البشير الإبراهيمي مصطلح «النقل» في علم التصريف وما يقع من تغيير بواسطته داخل الكلمة لتصير على شكل آخر ، وهو ما نشاهده في حركات الشام سواء تعلق ذلك بحركاته للعلبة ، أم لمادة الشمة ، أم لنقلها الى العضو الخاص بها ، فنقل الشمة من مكان الى آخر ، ثم الى العضو الخاص بها نشاهده وكأنه عملية لا إرادية من طرف الشام ، وهو ما يحدث في مصطلح «النقل» في علم التصريف .

**☆ المصطلح الثاني : التحريك[2]**

لقد لجأ الشيخ البشير الإبراهيمي الى مصطلح آخر من مصطلحات علم التصريف وهو «التحريك» الدال على حركة الضم ، أو الفتح ، أو الكسر ، ووظفه في عملية تحريك الشام

لشمته ، تلك العملية التي شبه حركة الحروف في الكلمة الواحدة ، فهي حركة غير مستقرة على نمط واحد ؛ ذلك أن الشمام يجعل شمته تتحرك في أوضاع مختلفة داخل العلبة وبين أصابعه ، كل هذا يتم بواسطة رأسي السبابة والإبهام وكأنها حركة لا إرادية من صاحب الشمة .

هذه الحركة اللامنتهية من الشمام جعلها الشيخ البشير الإبراهيمي مثل الحركات داخل الكلمة ثم الجملة ثم النص ، فهي لا تنتهي ما دامت الحروف موجودة ، وفي الوقت نفسه أن تلون وتشكل الكلام وتعطيه موسيقى خاصة ، ولولاها لما كانت النغمات الموسيقية المختلفة ، فكذلك تحريك الشمام لشمته فإنها تجعل صاحبها يتهيأ لقبول الشمة في أسرع وقت ممكن ، وهو في قمة الاستعداد النفسي والجسمي لفعل الشم ، وكل هذا يتسارع مثل تسارع الحركات على حروف الكلمة عند الناطق بها ليصل الى المعنى المطلوب بشوق لا يدركه إلا فاعله .

**☆ المصطلح الثالث : التسكين[3]**

السكون : لقب من ألقاب الحركات وهو قسيم للضم ، وللفتح ، وللكسر ، ويسمى الوقف كذلك ، وهو ضد الحركة .

أما التسكين : فهو فعل الفاعل ، أي : إيقاع فاعل التسكين في اللفظ ، والحرف ، فهو بهذا وصف لمن يفعل التسكين لا وصف الكلمة .

وقد اختار الشيخ البشير الإبراهيمي مصطلح التسكين ليدل به على أن الشمام قد لايحرك شمته ، وإنما يجعلها ملمومة مجتمعة ساكنة ، وأن فاعلها يصير ساكناً متأملاً منقطعاً على أي حركة إرادية في لحظة من لحظات فعله للشمة إلا أن هذا السكون لا يطول لتبدأ بعده الحركة مثله مثل السكون ضمن الحركات ، فلا يلبث أن يختفي ، ليترك المجال لحركة ما من الحركات سواء كانت ضمة ، أم فتحة ، أم كسرة ، وقد تكون أغراض أخرى للتسكين عند الشيخ البشير الخبير بالوضوع .

**☆ المصطلح الرابع : الفتح[4]**

الفتح أو النصب مصطلح دال على حركة توضع فوق الحرف ويسمى الحرف الحامل لها حرفاً متحركاً مفتوحاً أو منصوباً .

ولعل الشيخ البشير الإبراهيمي اختار هذا المصطلح ليدل به على كيفية فتح علبة الشمة ؛ ذلك أن فتحها يقتضي حركة وطريقة ومنهجا خاصا لا يمكن معرفتها وإتقانها إلا الشمام

نفسه ، أما غيره فقد يستعصي عليه حلها وفتحها بالسهولة المطلوبة ، وقد يستحيل فتحها باليد المجردة مهما أوتي من قوة ؛ لأن القوة لا تجدي أحياناً في فتحها .

ومن هذا فإننا نجد الشيخ الإبراهيمي استعار مصطلح «الفتح» ليدل به على ما يفعله الشمام مع شمته سواء ما يتعلق بفتح العلبة ، أم بفتح أنملي السبابة والإبهام للسماح بقليل من دقيق الشمة ليمر الى الخيشوم في أثناء عملية الشم ، أم بما يظنه الشمام من أن استعمال الشمة تلهم صاحبها أفكاراً مختلفة وغزيرة لا يصل إليها إلا بواسطتها ، ولولاها لما تفتح الذهن ، ولما أعطي ما يجب إعطاؤه .

فمصطلح «الفتح» مجاله السهولة ولهذا اختاره الشيخ البشير الإبراهيمي ليعبر به عما تفتحه الشمة من أفكار حينية للشمام .

**☆ المصطلح الخامس : التشديد[5]**

يدل مصطلح الشّدّة على انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج . والمقصود بالشدّة لغة القوّة .

وللشدة حروف ثمانية جمعت في عبارة «أجدك قطبت» ، ومنها خمسة أحرف تسمى أحرف القلقلة جمعت في «قطب جد» .

لقد اختار الشيخ البشير الإبراهيمي مصطلح «التشديد» ليستدل على التشديد القوي الذي يقوم به الشمام لشمته ، وهو يحركها بين أصابعه سواء كان هذا العرك عند تحضيرها ، أم داخل العلبة وهي مستوية ، أم بين أنامل الأصابيع قبل الشم وبعده .

**☆ المصطلح السادس : التمكين[6]**

لقد لجأ الشيخ البشير الإبراهيمي الى مصطلح «التمكين» الدال في علم التصريف على نوع من أنواع التنوين المتمكن ، ليبين بواسطته تمكن الشمام بعملية الشم والتحكم في طريقة استعمالها ، لأن التمكين في علم التصريف دال على شدة تمكنه من باب الأسمية ، كذلك الشمام فإنه متمكن من عملية الشم ومن تهيئها وتسويتها ، ولهذا اختار الشيخ هذا المصطلح لما له من دلالات تتجسد عند الشمام .

**☆ المصطلح السابع : الضم[7]**

مصطلح الضم مشترك بين علمي النحو والصرف ، وهو يدل على مَبَاني الحروف التي تتكون منها الكلمات ، مثل ضم الراء من (شرف) ، والجيم من (جن) والباء من (بهت) .

لقد اختاره الشيخ البشير الإبراهيمي ليدل به على الضم والجمع الخاص بعملية الشمام بشمته ، وما يضم إليها من مواد خاصة أمثال العطور وغيرها لتصدر مستوية وجاهزة للاستعمال سواء في الأنف ، أم تحت اللسان ، أم ما بين الشفة والأسنان على اليمين أو على الشمال أو على الأمام .

**☆ المصطلح الثامن : الصحة[8]**

الصحة مصطلح صرفي تقابله العلة ، فكل حرف صحيح إلا وينسب الى هذا المصطلح بخلاف حروف العلة وهي (الألف والواو والياء) .

أما المناسبة التي يهدف إليها الشيخ البشير الإبراهيمي بين المصطلح الصرفي والشمّام فهي في رأينا تتمثل في أي متعاطي الشمّة تجعل منه رجلاً قويا مفكراً صحيحاً يقظا ؛ ذلك أن الشمام مثل الحرف الصحيح ، الذي يطرأ عليه تغيير ولا يؤثر فيه ما قبله وما بعده ولا يتأثر هو نفسه بها ، ورأينا وجد بالنسبة للكلمة سواء جاء في الأول ، أم في الوسط ، أم في الأخير فكذلك الشمام في نظر الشمامين رجل صحيح قوي البنية حصيف الفكر ، فلا يلحقه ضعف ، ولا وهن مثله مثل مصطلح الصحة في الكلمة والجملة .

**☆ المصطلح التاسع : الإعلال[9]**

يدل مصطلح الإعلال في علم التصريف على تغيير حروف العلة (و ، أ ، ي) سواء تعلق ذلك بـ :

1 – القلب في مثل : قال (قول)

2 – أم بالحذف في مثل : وسع يسع سعة (يوسع وسعة)

3 – أم بالتسكين يقول (يقول) .

أما سر استعمال الإعلال الخاص بعلم التصريف من طرف الشيخ البشير الإبراهيمي وتحويله الى الشمام فلصلته الوثيقة بينهما فكما أن الكلمة يلحقها إعلال من قلب وحذف وسكون فكذلك الشمّام تلحقه هذه التغيرات الثلاثة ، فهو عليل وتلحقه ما يلحق بالحرف المعتل .

فالشمام يتقلب في مزاجه ، ولا يستقر على قرار وحالة واحدة مثله مثل الإعلال الذي يصيب الكلمة أولاً ووسطاً وآخراً ، ومتى أصابها إلا وغير بنيتها ، فكذلك الشمام فإنه يصيبه بفعل الشمة ما يصيب الكلمة من إعلال .

**☆ المصطلح العاشر : الحذف[10]**

لقد اطلق مصطلح الحذف في اللغة العربية على كل حذف وقع سواء في الجملة كقولهم :

والله لأجتهدن بحذف الفعل والفاعل في (أقسم) ، أم في الإسم في مثل : مكرم ، والأصل (مؤكرم) ، أم في الفعل في مثل : أكرم ، والأصل أكرم ، أم في حذف الحرف نفسه في مثل : إليه لأفعلن بحذف «الواو ، أو الياء ، أو التاء» وقد شمل الحذف الفاعل والمفعول ، والمبتدأ ، والخبر ، والحال ، والجار والمجرور ، والمعطوف ، والمضاف ، والمضاف إليه ، والمسند والمسند إليه .

ولعل العلة التي ربط الشيخ بين «الحذف» في اللغة وبين الحذف عند الشمام - تتمثل في أن هذا الأخير قد يحذف مادة أو بعضها من المواد المكونة للشمة ، فكل شمام إلا وله مادة أو أكثر يحذفها في الشمة الخاصة به ، فالحذف قد يشمل المواد الأساسية للشمة ، أو ما يضاف إليها كالعطور مثلاً .

وقد نجد الحذف يقع فيها يحمل بين الأصابع وبخاصة ما زاد سواء داخل العلبة أم ما تبقى بعد استعمال الشمة ، أم ما سقط في أثناء عملية الشمّ .

**☆ المصطلح الحادي عشر : التعويض[11]**

التعويض مصطلح صرفي يراد به تعويض حرف عن حرف ، أو حرف عن أكثر من حرف ، أو تعويض حرف عن حركة .

وقد استعمله الشيخ البشير الإبراهيمي ويراد به تعويض مادة مكان أخرى في تركيبة الشمة من جهة الى أخرى في القطر الجزائري .

وقد تجد الشّام يعوّض الشمة الخاصة بالأنف باستعماله الشمة الخاصة بالفم في النهاية الى ما يلحق الشمّام من حالة نفسية خاصة بفعل الشمة ، فالحالة النفسية التي يصل إليها بواسطة الأنف قد تعوّض بواسطة الفم .

**☆ المصطلح الثاني عشر : الإبدال[12]**

يقصد بهذا المصطلح في علم التصريف وضع حرف مكان آخر .

والحروف التي وضعت في مجال الإبدال هي تسعة جمعت في قولهم «هدأت مطويا»

لقد رأى الشيخ البشير الإبراهيمي أن يستنبط من هذا المصطلح الصرفي معنى آخر دالاً على إبدال مادة بأخرى في المواد التي تصنع منها الشمة حتى لا تكون على ذوق وحالة واحدة .

فالإبدال الذي يقع بين الحروف لأغراض مختلفة هو نفسه استعارة الشيخ البشير الإبراهيمي للمواد المكونة لشمة الأنف أو شمة الفم .

وقد يقصد من الإبدال كذلك بإبدال شمة الأنف ، وانتقال الى شمة الضم وقد استعاره الشيخ البشير الإبراهيمي ليستعمله دالاً على ما يحذف ، ويسقط من بين أصابع الشمام ، لأن الترخيم يدل على ترخيم تصغير ، وترخيم نداء ، وهذا الترخيم فيه ما فيه من حذف . فكذلك عمل الشمام مع شمته فهو يحذف ما زاد عما يريده سواء تعلق ذلك في أثناء تحضير الشمة لموادها الخام المكونة لها ، أم في أثناء استعمالها بواسطة الأصابع ، أم وهي موضوعة على شكل سلسلة من الهضاب على ظهر الكف للمرة الأخيرة للشم بواسطة الأنف ، أم أنها موضوعة على شكل كتلة موضوعة داخل كف اليد اليسرى غالباً استعداداً لاستعمالها في الفم وتحت اللسان .

**☆ المصطلح الثالث عشر : الإدغام[13]**

يدل هذا المصطلح على الإتيان بحرفين أحدهما ساكن والآخر متحرك من مخرج واحد دون أن يكون فاصل بينهما ، ثم إدراج الساكن الأول في أثناء المتحرك ، في مثل : مدّ ، وللإدغام شروط عدة . وقد يجيء الإدغام من المتقاربين في الكلمة الواحدة .

وقد استعاره الشيخ البشير الإبراهيمي ليصل به الى عمل الشمام وهو منهمك في تحضير الشمة ، أو في جمع مادتها الخام ، أو في وضعها وهي ركام في كفّ اليد ، أو أنها طريق غير معبد مملوء بالنتوءات على ظهر اليد ، كل هذا له تشابه واضح فيها يرمي إليه مصطلح الإدغام ، فالمزج الذي يحدثه الشمام سواء فيما تعلق بالمواد المكونة للشمة بأنواعها ، أم في مزجها بعد تسويتها ، أم في استعمالها ، أم فيما يحدث من إدغام ومزج - وهي في الخيشوم ، أم هي في الفم - مع الريق ومع استنشاق الهواء بواسطة الأنف .

**☆ المصطلح الرابع عشر : الفك[14]**

الفكّ هو حل التضعيف والإدغام بين حرفين متماثلين قد أدغما بالتشديد ، ولعل الشيخ البشير الإبراهيمي قصد بهذا المصطلح ليطلقه على الشمام ، وما يقوم به من فك الشمة وهي مجتمعة داخل العلبة لتصير موزعة ومفككة ومشتتة قليلة على كف اليد ، ثم ما يطرأ عليها من فكّ ، وهي داخل عضو الأنف ، أو بين الشفة والأسنان ، أو تحت اللسان - بفعل العوامل الجسمية ، ثم تتفكك لتنتشر في الجسد كله وما يطرأ عليه - ومنه الفكر - من تفكك وتقلب .

**☆ المصطلح الخامس عشر : التخفيف[15]**

يظهر التخفيف في اللغة العربية بأحد الأمور الآتية :

1 - الحذف

2 – الإبدال

3 – التسهيل .

هذه الأمور الثلاثة استعملها الشمام في تهيء شمته . فالشمة قد لا يجعلها مركزة قوية ثقيلة وبالتالي يتعذر استعمالها في أعضاء الجسم لتأثرها فيه . فالشمام يدخل على شمته بعض ما يراه صالحاً لتصير خفيفة تلائم مزاجه واستعداده النفسي والجسمي .

ولعل الشيخ البشير الإبراهيمي اختار مصطلح التخفيف من مصطلحات علم التصريف ليصل به الى أن ما يقع في الكلمة من تخفيف بعد ثقل ، وما ينتج عنه من تناسق في الألفاظ وتوازنها هو ما يطرأ على الشمام من انسجام فكري ، وهدوء نفسي ، وبالتالي يصبح الشمام عادياً متزناً بعيداً عن القلق منسجماً فكرياً وجسدياً .

**☆ المصطلح السادس عشر : الإشمام[16]**

الإشمام مصطلح صرفي معناه إعارة حرف ، أو حركة رائحة حرف آخر ، أو حركة أخرى ، والغرض من استعماله عند الشيخ البشير الإبراهيمي لتمثيل الحركات المختلفة عند الشمام في أثناء استعماله لها . هذه الحركات تدل دلالة قاطعة على حالات غير مقصودة من الشمام وهي تمثل حالات ، وصور ، وحركات لا ينتبه إليها الشمام فصارت كأنها لا إرادية عند المشاهد .

**☆ المصطلح السابع عشر : الأصول[17]**

الأصل مصطلح يطلق على أصول الكلمة الثلاثة ، ولقد استعار الشيخ البشير الإبراهيمي هذا المصطلح ليدل على أن الشامين منهم الأصول ، ومنهم غير الأصول في شمها وبخاصة في تحضيرها . فالأصول منهم أمثال أصول الكلمة لا يستغني عنها .

فالراسخون في مزاولتها لهم تقاليد أصيلة في شمها ، وفي نكهتها ، وفي علبها وهي جاهزة وفي مكان وجودها ، وفي مزاولتها ، وفي طرحها بعد استعمالها ، ولا يمكن أن يحيدوا عن هذه الأصول وغيرها مهما كانت الظروف ، فشمتهم لها أصول ، لابد أن تتوفر فيها ، لأنهم أصحاب أصل وأصحاب مهنة في تناولها وفي تحضيرها .

فالشمة عندهم من الضروريات التي لا يستغنى عنها . فقد يستغنون عن الأكل لمدة ما ، أما استغناؤهم عنها فلا يتصور قط ، فهي أصيلة بينهم في حلهم ، وترحالهم ، وفي ليلهم ونهارهم ، وفي أفراحهم وأتراحهم ، وفي سمرهم شتاء وربيعاً ، وصيفاً وخريفاً .

فهي الأصل عندهم في الحرب والسلم ، بين الأصدقاء والأعداء ، وبين أقرب الأقرباء إليهم ،

فهي الأصل الذي لا يستغنى عنه مهما كانت العراقيل ، فاذا فقدت من السوق شرعوا في تحضيرها بأنفسهم حتى إن بعض الشامين لا يستعمل منها إلا ما تهيئه يده ، أما الشمة المتداولة والموجودة في السوق فلا يلجأ إليها إلا نادراً .

والشمّام للشمّام أخوان وأصدقان وأصيلان وسرعان ما تنعقد بينهما الألفة والأصالة ، فالأصل خصلة بينهما عند استعمال الشمة ، وتبادلها ، فهي أصلية في وحدتها في وقت الحاجة إليها بينهما بالسهولة التي لا تتوقع .

**☆ المصطلح الثامن عشر : الزائد[18]**

الزائد المصطلح يطلق على أي حرف زائد على أصل الكلمة بشروط مختلفة نعثر عليها في أي كتاب من كتب علم التصريف أو النحو .

لقد استعاره الشيخ البشير الإبراهيمي ليدل به على أن بعض الشمّامين ليسوا بأصحابها ، وإنما هم زائدون ، وبحسب الظروف ، فإن وجدت فذلك ، وإن فقدت فذاك ، فالأمر سيان عنده ، ولا يهمه صنعها ، ولا ما يضاف إليها ، أو ينقص منها فهي زائدة عنده ، ولا يهمه من أي مادة صنعت ، ولا كيف هيئت ، وأنها صالحة عنده ولو مر عليها دهر ، فهي الشمة وكفى .

ولا يقلق إن وجدت في صفيحة ، أو ورقة ، أو في خرطوم ما ، فهذا كله واحدة عنده ، والمهم من كل هذا أنه يحصل عليها .

**☆ المصطلح التاسع عشر : العطف[19]**

العطف مصطلح من المصطلحات النحوية الدال على عطف كلمة ، أو جملة أو فقرة ، أو نص على غيره . وله حرف عشرة ، وهي : (الواو ، والفاء ، وثم ، وحتى ، وأو ، وأم ، وبل ، ولا ، ولكن ، وإما عند بعضهم) ، وفي عطفها أحكام مختلفة مشروحة في أي كتاب من كتب النحو ، أو كتب الحروف .

وقد استعمل الشيخ البشير الإبراهيمي العطف بحرفين وهما : الفاء ، والواو ، ويتضح في قوله :

ولي مآرب مع الزواوي معطوفة بالفاء لا بالواو[23]

نلاحظ أن الشيخ البشير الإبراهيمي عطف بحرف (الفاء) ، وقد نبه على أن العطف بها لا بغيرها كالواو دالا بهذا العطف على أن المآرب والقضايا الموجودة بين الشيخ والزواوي متعاقبة ،

ومتلازمة ، ومتتالية ، ولا يفصل بينها زمان فهي مثلها مثل العطف بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب في آن واحد ، ولا دخل هنا للزمان المتباطئ أو الممتد .

هذه الحالة الموجودة بين الشيخ الزواوي قد عبر عنها الشيخ البشير الإبراهيمي بدور الفاء في العطف ، وهو بهذا عبر عن المآرب التي بينه وبين الزواوي بما وجده في دور الفاء العاطفة التي تفيد الترتيب والتعقيب .

أما الواو فقد استبعدها لأن العطف بها يجيء للتراخي ولطول المدة ، ولعدم الترتيب ، وهو ما لا يعبر عما بين الشيخ وبين الزواوي من القضايا المتلاحقة والمتسلسلة بدليل قوله :

وكل مـــــأرب لـــــه ثـــــوان محـــــدودة يضيعـــــه التـــــواني

فالمآرب التي بين الزواوي والشيخ مآلها ثوان ونزول . فالزواوي لا يهتم بهذه المآرب فهي تضيع في التواني والتهاون .

ومن هذا نصل الى أن القضايا التي بين الشيخ الزواوي كثيرة وملاحقة حتى صار لكل مأرب ثوان وينتهي ، فلهذا عبر بالعطف بالفاء دلالة على كثرتها ، وتعددها ، وتلاحقها ، وتشابكها .

فالعطف بالفاء عند الشيخ البشير الإبراهيمي هي ضالته المنشودة ، ولم يجد في حروف العطف حرفاً آخر يعبر عما بينه وبين الزواوي ، ولم يلجأ الشيخ البشير الإبراهيمي الى تعابير أخرى وهو قادر على ذلك ، إلا أن حرف «الفاء» قام بدوره في الموضوع ، وعبر عن القضايا المتشابكة بين الشيخ والزواوي ، فلهذا اختاره في الموضوع ، لأنه يعبر عن الغرض المطلوب .

**☆ المصطلح العشرون : الجمود والتصريف[20]**

مصطلح الجمود أو الجامد في اللغة العربية هو ما لم يؤخذ من غيره .

أما مصطلح التصريف في (علم التصريف) فيطلق على تقليب الكلمة على عدة أوزان وأشكال مختلفة .

لقد اختار الشيخ البشير الإبراهيمي مصطلحي الجمود والتصريف ليدل بهما على حالتين متناقضتين وهما : الجمود من جهة ، والتصريف من جهة أخرى دالتين على عدم تغيير حالة وطريقة السيد (أحمد بوشمال) فهو مثله مثل ورقة التعريف «الهوية» ، فهي جامدة من حيث أنها خاصة بشخص ولا يمكن تغييرها وصرفها ، ومن جهة أخرى فإنها تتصرف عند استعمالها هنا وهناك .

فالحالة التي عليها ورقة التعريف هي الحالة نفسها التي عليها السيد (أحمد بوشمال) في نظر الشيخ البشير الإبراهيمي بدليل قوله :

وهـــــو على الجمـــــود والتصريف ألـــــزم من ورقـــــة التعريف[25]

فقد دل بهذا على أن (أحمد بوشمال) لا يتغير وكأنه ورقة التعريف .

لقد أحسن الشيخ البشير الإبراهيمي في خلع مصطلحين لغويين على حالة السيد (أحمد بوشمال) وربطها بورقة التعريف الملازمة للشخص وبواسطتها وصل الشيخ الى غرضه .

**☆ المصطلح الواحد والعشرون : الضمير المستتر[21]**

الضمير مصطلح وضع للدلالة على اسم جامد يدل على متكلم ، أو مخاطب ، أو غائب ، ويسمى المضمر أو الكناية المكنون . وهو أعرف المعارف السبعة وهي : الضمير ، والعلم ، والإشارة ، والوصول ، والمعرف بال ، والمضاف الى معرفة ، والنكرة المقصودة بالنداء .

لقد وصف الشيخ البشير الإبراهيمي للدلالة على أن (الجلالي) قد انكشف ما كان مستوراً حوله ، فهو مبتور النسب غير معروف سواء عند العرب ، أم عند العجم بدليل قوله[27] :

وفيـــــــــــه كشف للضمير المستتر من نسب في العرب والعجم بتر

لقد وظف الشيخ البشير الإبراهيمي الضمير المستتر حتى يصل الى أن تاريخ (الجلالي) المتمثل في الضمير المستتر قد انكشف للعيان ، وصار معروفاً لدى العامة والخاصة ، وتأكد للجميع أن (الجلالي) لا حسب له ولا نسب في العرب ، وإنما هو مبتور من العجم .

وقد قارن الشيخ الإبراهيمي استتار نسب (الجلالي) بما يؤديه الضمير المستتر في علم النحو . وقد اختار هذا المصطلح ليصل الى ما يستره (الجلالي) من نسب مزيف أمام العامة والخاصة .

**☆ المصطلح الثاني والعشرون : التركيب الإسنادي[22]**

نجد مصطلح (التركيب الإسنادي) في اللغة العربية عاما ، وله دلالات مختلفة ، إلا أنه يصير محدداً ومعروفاً إذا أضيف الى غيره في مثل :

1 – التركيب الإضافي

2 – التركيب الوصفي

3 – التركيب المزجي .

هذه المصطلحات صارت دالة على مفاهيم مختلفة ، فالإسناد الصحيح نحوي والغرض منه ضم إحدى الكلمتين الى الأخرى على وجه الإفادة التامة[28] ، والإضافة نسبة تقييدية بين اسمين

توجب لثانيها الجر أبدا[29] ، أما الإضافة في اللغة فهي الإسناد .

والوصف هو الصفة وهو النعت أحد التوابع لكلمة قبله يكمل معناها[30] . والمزج هو جعل كل اسمين اسماً واحداً[31] .

لقد استعمل الشيخ البشير الإبراهيمي هذه المصطلحات الثلاثة : «التركيب الإضافي ، والوصفي ، والمزجي» ليدل بها على أن كلمة «فرانس» مع كلمة «إسلام» لا يمكن أن تصيرا تركيباً إسنادياً المتمثل في التركيب الإضافي ، أو الوصفي ، أو المزجي ، فلا صلة بين كلمة «فرانس» وكلمة «إسلام» في أي وجه من وجوه العربية .

فلهذا نجد الشيخ البشير الإبراهيمي يوظف المصطلحات الثلاثة في المقالة المعنونة بـ : «لجنة فرانس – إسلام» ليبرهن على أن كلمتي «فرانس إسلام» لا يمكن لهما أن تمتزجا ، وإنما جيء بهما على هذا التركيب لا صلة له بالتركيب الإسنادي المعروف في اللغة العربية ، فاستحالة هذا التركيب كاستحالة مزج الزيت بالماء ، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي[32] :

«كلمتان أكرهتا على الجوار في اللفظ والكتابة ، فجاءت كل واحدة منهما نـاشزة على صاحبها ، نابية عن موضعها منها ، لأنهما وقعتا في تركيب لا تعرفه العربية ، ولا يقبله الذوق العربي . في العربية **تركيب الإسناد** ، والإسلام لا يرضى أن يسند الى فرنسا الإستعمارية ، ولا أن تسند هي إليه ، وفي العربية **التركيب الإضافي** ، والإسلام لا يسمح أن يضاف الى فرنسا ، ولا أن تضاف هي إليه ، وفي العربية **التركيب الوصفي** ، والإسلام لا يقبل أن يوصف بالفرنسي ، ولا أن توصف فرنسا بـ : «الإسلامية» وفي العربية **التركيب المزجي** ، والإسلام وفرنسا كالزيت والماء لا يمتزجان إلا في لحظة التحريك العنيف ، ثم يعود كل منهما الى سنته من المباينة والمنافرة» .

لقد وظف الشيخ البشير الإبراهيمي المصطلح الإسنادي ، وطبقه على كلمتي فرانس وإسلام ، وبين لنا أن هذا التركيب لا صلة له بالتراكيب الإسنادية ، ولا يمكن لعاقل أن يجعل هذا التركيب صالحاً ، فلا علاقة بين كلمة «فرانس» ، وكلمة «إسلام» ، ولاستحالة ذلك مثل لنا باستحالة مزج الزيت بالماء .

لقد استطاع البشير الإبراهيمي أن يقنع من يطلع على هذا النص على ما أراده منه هو ، وهذا راجع الى تمكن الشيخ بأسرار المصطلح النحوي ، وأسرار تطبيقه في الواقع ، وأسرار اللغة العربية ككل .

☆ **المصطلح السادس والعشرون والسابع والعشرون : باب النكرة وباب المعرفة**[23]

«الباب» مصطلح يدل على جزء من أجزاء الكتاب .

«النكرة» مصطلح نحوي يدل على اسم غير معين .

«المعرفة» مصطلح نحوي يدل على إسم معين .

أما «باب النكرة» فهو يجمع كل ما ليس بمعرفة ، على عكس «باب المعرفة» فإنه يطلق على المعارف السبعة :

- الضمير
- العلم
- الإشارة
- الموصول
- المعرف بـ «ال»
- المضاف الى معرفة
- النكرة المقصودة بالنداء .

هذه هي المعارف في اللغة العربية ، إلا أن الشيخ البشير الإبراهيمي قد اختار لموضوعه «باب النكرة» و«باب المعرفة» ككل ليدل بهما على أن «البصائر» لعبت دوراً كبيراً في التعريف بـ «الجزائر» مما جعلها تنقلها من باب النكرة - أي : أن الجزائر غير معروفة - الى باب **المعرفة** ، أي : أن الجزائر صارت معروفة في العالم بفضل جريدة «البصائر» يقول الشيخ البشير الإبراهيمي في هذا الصدد ما نصه[34] :

«... والى المدى الذي بلغته (البصائر) في ربط القلوب ، وتوحيد الاتجاه ، وتضييق دائرة الخلف في الدين والدنيا ، وتوسيع ميدان التعارف ، ثم في نقل الجزائر من (باب النكرة) الى (باب المعرفة) ...» .

لقد استطاع الشيخ الإبراهيمي بمصطلحين لغويين متناقضين أن يصل الى أن الجزائر صارت معروفة بين دول العالم ، وهذا راجع الى جريدة «البصائر» فلولها لما عرف العالم حقيقة الوطن الجزائري .

☆ **المصطلح الثامن والعشرون والتاسع والعشرون**[24] :

مصطلحا الضم والخفض حركتان تأتيان على الإعراب ، أو على البناء في الأسماء والأفعال .

لقد استعمل الشيخ البشير الإبراهيمي مصطلح الضم دالا به على الاتحاد ، لأن الضم علامة البناء ، والبناء دال على الاتحاد والجد والمثابرة والرقي والتحضر . واستعمل كذلك مصطلح الخفض دال به على الذل والهوان ، بدليل قوله : «... وأعيذكم[36] أن تنكروا التقسيم وأنتم منقسمون ، وأعيذكم أن تكون غرب النيل كشرق الأردن ، وأعيذكم أن ترضوا بالخفض ، ولا تقبلوا (الضم) ، إن الضم علامة (البناء) ، وآية استقرار البناء ، فاجهدوا في إثبات الضم وخلاكم ذم ..»[37] .

يتضح من النص أن الشيخ البشير الإبراهيمي استعار مصطلح «الضم» ومصطلح «الخفض» ، لغرض محدد فالأول جيء به لبحث العرب على القوة والثاني أراد به التنبيه على الذل والهوان ، ولابد من الابتعاد عنه . فالخفض علامة دالة على الذل والانحطاط ، أما «الضم» فهو علامة البناء .

لقد اختار الشيخ هذين المصطلحين ليصل في النهاية الى أن الفم هو علامة التقدم والاستقرار ، ولابد من اتباعه للوصول الىالمبتغى .

**☆ المصطلح الثلاثون : أدوات التصدير[25]**

الأداة مصطلح دال على كلمة تربط بين جزأي الجملة ، أو بين جملة وجملة ، أو بين فقرة وأخرى ، فهي ضرورية في الكلام المفهوم ، والأدوات تشمل :

- أدوات الشرط
- الاستفهام
- حروف الجر
- حروف العطف وغيرها .

أما الذي يهمنا في الموضوع أدوات التصدير ، أمثال : أدوات الشرط وقد تدخل عليها حروف العطف ، وهمزة الاستفهام ، ولكن الاستدراكية ، إلا أن دخولها عليها لا يغير من عملها شيء .

لقد استعمل الشيخ البشير الإبراهيمي هذا المصطلح دالا به على صدارة علماء الأمة إلا أنهم كانوا وبالا عليها بالرغم مما حياهم إليه من علم ، إلا أنهم لم يطلعوا بشؤون الأمة ، ولم يأخذوا على عاتقهم مسؤولية ، بل تركوا كل هذا الى غيرهم فصاروا عالة على أمتهم بدل أن يكونوا طليعة لها في العمل الصالح ، وحمل مشعل الواجب ، لأن حمله خلق لهم لا لغيرهم ، إلا أن هذا

لم يقع فصاروا **كأدوات التصدير** التي يدخل عليها حروف الجر فيعمل فيها على الرغم من تصدرها الجملة أو العبارة .

هكذا استطاع الشيخ البشير الإبراهيمي أن يستنبط عمل الحرف في أدوات التصدير ليطبقه على علماء علم ما لهم من مكانة وصدارة إلا أنهم لم يحملوا الأمانة بل تخلوا عنها ، وتركوها لغيرهم ، فصاروا لا قيمة لهم مثلهم مثل أدوات التصدير الداخلة عليها حروف الجر .

ونجد الشيخ البشير الإبراهيمي يقارن هؤلاء العلماء الذين تخلوا عن الأمانة بخلاف علماء أوروبا ، فقد عدهم من العلماء الحقيقين ، لما أضافوه للعلم ، أو لكشفهم عن خفايا فيه ، ولم يكونوا كأدوات التصدير الداخلة عليها حروف الجر .

نجد كل هذا في حديث الشيخ البشير الإبراهيمي في مقاله الموسوم بـ : «من نفحات الشرق» والخاص بالأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار ، عندما نص قائلاً[39] : «بآية أنهم ما كثروا في الأمة إلا قلت بهم الأمة ، ولا ثقلوا في أنفسهم إلا خف وزنها في الأمم ، ولا تغالوا في التعاظم إلا كان ذلك نقضاً من معاني العظمة فيها . وبآية أن علمهم لم يؤهلهم لقيادة الأمة ، فتركوا القيادة لغيرهم ، **وأصبحوا كأدوات التصدير التي يسبقها حرف الجر ، فيدخل عليها ويعمل فيها .** وبآية أن العالم في أوروبا لا يعد عالماً إلا اذا زاد في العلم شيئاً ، أو كشف من خفيه شيئاً ، أو حلا من غامضه شيئاً . ونقض - مع ذلك - على العلم من روح زمنه شيئاً . ولا عجب فالعلم عندهم ياقوتة في منجم . وعندنا لفظة في معجم ، والأولى تستخرج بالبحث والإلحاح ، والثانية تستخرج بمعرفة الاصطلاح ، والأولى حظ المجتهد العامل ، والثانية حظ المقلد الخامل» .

لقد استاع الشيخ البشير الإبراهيمي بثقافته الواسعة أن يجعل من أدوات التصدير الداخلة عليها حروف الجر متميزة في الموضوع ليطبقها على العلماء الذين لم يتحملوا شؤون الأمة ولقد صدق فيما قال .

**☆ المصطلح الواحد والثلاثون : المجاورة[40]**

يستعمل مصطلح المجاورة في باب النعت ، ويريدون به أن النعت يأتي لمجاورته لفظاً مجروراً لا لمتابعة المنعوت ، ومن الأمثلة المشهورة في الموضوع عند العرب قولهم : «هذا جحر ضب خرب» فقد جروا كلمة «خرب» تبعا لضب المجرور قبلها والأصل أنها صفة لـ «حجر» فهو مجرور لفظاً مرفوع محلاً والأصل : «هذا حجر خرب» .

إلا أن الشيخ البشير الإبراهيمي قد نقل هذه الصورة النحوية الخاصة بالمجاورة في باب النعت الى زعامة «الزاهري» في مقال له بعنوان : «الى الزاهري» .

لقد أراد الزاهري أن يكون زعيماً إلا أن زعامته لاحقة لا أصلية ، وهي مثلها مثل النعت بالمجاورة فقد اتبع ما قبله وابتعد عن أصله الحقيقي ، يقول البشير الإبراهيمي ما نصه[41] : «ولعلك/الكاف يعود على الزاهري/ أعجبك منهم أنهم قوم محظوظون في الزعامة ، فطمعت أن تصبح زعيماً بالمجاورة أو التوهم كما قالوا في (حجر ضب خرب) وفاتك أن شروط الزعامة عندهم أربعة ، وأنت لا تملك منها إلا واحدة) .

لقد استطاع الشيخ البشير الإبراهيمي أن ينقل لنا حالة خاصة في باب النعت ، وهي المجاورة الى حالة واقعية طبقها على من يريد أن يصير زعيماً مثل «الزاهري» وهو دون شروط الزعامة ، إن الزاهري مثله مثل النعت بالمجاورة فهو بعيد كل البعد عن المنعوت الأصلي .

**حرف الخاء**

لقد استعمل الشيخ البشير الإبراهيمي حرف «الخاء» المعجمة من فوق ، وقد قارن بينها وبين «الحاء» المهملة ، ولاحظ أن رسمها واحد ، إلا أن «الخاء» المعجمة من فوق عسيرة النطق ، لوجود مخرجها في أدنى الحلق ، ولقد ارتاح من لا يتيسر له نطقها .

إن الشيخ البشير الإبراهيمي جاء بهذا كله لينبه القارئ الكريم على أن المرأة الجزائرية أيام الاستعمار الفرنسي لا حقوق لها فهي «تنتحب ، والحكومة الجزائرية[42] تريد لها أن تنتخب ، والفرق بسيط ما دام الفرق نقطة ، وقاتل الله الخاء ، فما أعسرها في المخرج ، وما أسعد من لا ينطق بالخاء ، وصدق المثل[43] : عسى الغوير أبؤسا» .

لقد قارن الشيخ البشير الإبراهيمي حرف «الخاء» في عسر مخرجه بما هو مسلط على المرأة ، وما تريده منها الحكومة الفرنسية الموجودة في الجزائر .

والمرأة التي يتحدث عنها الشيخ البشير الإبراهيمي حظها مثل حظ خبر «عسى» في المثل : عسى الغوير أبؤسا ، فهو محذوف ، وتقديره : عسى الغواير أن يكون أبؤسا خبر عسى محذوف ، فكذلك المرأة أيامها تلك ، كانت في نظر الاستعمار لا وجود لها ومثلها خبر «عسى» الدائم الاستتار في كل زمان ومكان .

فالمرأة حزينة لا يعيرها أحد أي اهتمام ، ومع ذلك فان الاستعمار الفرنسي عندما يريد أن ينفذ ما يريده ، ويصل الى غرضه ينتبه إليها ليأخذ منها ما يريده على الرغم من أنها

تنتحب ، ولكنه لا يبالي بها ، ويريدها أن تنتخب ليصل الى غرضه المطلوب .

**حرف الشين**

يعلم الحضور الكريم أن الحروف العربية ثمانية وعشرون حرفاً ، وهي للتهجي وللقراءة فسميت الحروف الهجائية ، وسميت في العصر الحديث الألفباء ، أو الألفبائية ، ولم تقتصر عن هذا الحد بل إن أجدادنا استعملوها مكان الأرقام عندنا اليوم في بيعهم وشرائهم ، وفي حضاراتهم المختلفة ، ويطلق عليها حساب الجمل وهي مجتمعة في كلمات ثمانية على النحو الآتي : أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ . هذا ترتيب المشارقة ، أما ترتيب المغاربة فهو كالآتي : أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، صعفض ، فرست ، ثخذ ، ظغش . فكل حرف إلا ويقابله عدد حسابي لا يتعداه الى غيره ، وما يعنينا في الموضوع هو ما يستعمل عند المغاربة وهو على النحو الآتي[45] :

**الآحاد**

| | | | |
|---|---|---|---|
| أ = 1 | ب = 2 | جـ = 3 | د = 4 |
| هـ = 5 | و = 6 | ز = 7 | حـ = 8 |
| | ط = 9 | | |

**العشرات**

| | | | |
|---|---|---|---|
| ي = 10 | ك = 20 | ل = 30 | م = 40 |
| ن = 50 | ص = 60 | ع = 70 | ض = 90 |

**المئات**

| | | | |
|---|---|---|---|
| ق = 100 | ر = 200 | س = 300 | ت = 400 |
| ث = 500 | خ = 600 | د = 700 | غ = 900 |
| | ش = 1000 | | |

ومن هذا يتضح أن حرف «الشين» في حساب الجمل عند المغاربة والأندلسيين تساوي ألفا ، وقد استعار الشيخ البشير الإبراهيمي «حرف الشين» ليدل به على أن الورقة المتمثلة للألف

42 – الحكومة الجزائرية يقصد بها الحكومة الفرنسية أيام الإستعمار في الجزائر حتى يفرق بينها وبين الحكومة الموجودة في فرنسا نفسها .
43 – راجع المثل في المقتضب 71/3 – 72 ، وشرح المفصل 123/7 ، 122/3 .
44 – عيون البصائر ص 119 .
45 – راجع المساعد على بحث التخرج للدكتور مختار بوعناني ص134 وما بعدها .
46 – عيون البصائر ص300 .
47 – سعد يسعد سعدا وسعودا اليوم : يمن .
48 – الخلل ج خلال : المنفرج بين الشيئين .

## المصادر والمراجع


1 – آثار الشيخ البشير الإبراهيمي ، ط1 ، الجزء الأول ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر .
2 – الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ، ط2 ، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة 1961م .
3 – الأصول في النحو لابن السراج ، تحقيق د/عبد الحسين الفتلي ، ط1 ، مؤسسة الرسالة – بيروت 1985م .
4 – الإيضاح في علل النحو ، للزجاجي ، تحقيق د/مازن المبارك ، مطبعة دار العروبة – القاهرة 1959م .
5 – التصريف الملوكي ، لابن جني ، تصحيح محمد بن مصطفى النعساني ، مطبعة شركة التمدن الصناعية – القاهرة .
6 – التعريفات للجرجاني ، الدار التونسية للنشر – تونس 1971م .
7 – حاشية الصبان على شرح الأشموني ، مطبعة البابي الحليبي وشركاؤه – مصر .
8 – الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، ط2 ، مطبعة دار الهدى – لبنان .
9 – دروس في علم أصوات العربية لجان كنتينو ، ترجمة صالح القرمدي ، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية – تونس 1966م .
10 – السيرا في النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه ، تحقيق د/عبد المنعم فائز ، ط1 ، دار الفكر – دمشق 1983م .
11 – الشامل معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ، محمد سعيد إيسر ، وبلال جنيدي ، ط1 ، دار العودة – بيروت 1981م .
12 – شرح الأشموني على الألفية ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية – مصر .
13 – شرح ابن عقيل على الألفية ، ط14 ، مطبعة السعادة – مصر 1961م .
14 – شرح المفصل لابن يعيش ، مكتبة المتنبي – القاهرة .
15 – شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، لابن مالك ، تحقيق د/عدنان الدوري ، مطبعة العاني – بغداد 1977م .
16 – عيون البصائر للعلامة محمد البشير الإبراهيمي ، دار المعارف – القاهرة .
17 – الفصول الخمسون ، لابن معطي ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، مطبعة الحلبي – القاهرة 1978م .
18 – الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة القلم وغيرها عام 66 ، 68 ، 73 ، 1975م .
19 – اللمع في العربية لابن جني ، تحقيق حامد المومن ، ط2 ، مكتبة النهضة العربية 1985م .
20 – المخصص لابن سيده ، مطبعة المكتب التجاري للطباعة والنشر – بيروت .
21 – المساعد على بحث التخرج للدكتور مختار بوعناني ، ديوان المطبوعات الجامعية فرع وهران 1995م .
22 – المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، د/محمد رشاد الحمزاوي ، الدار التونيسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1987م .